رجال في" العاصفة "

أنيسة الأمين*

الذي كتبه شكري أنيس فاخوري لتلفزيون لبنان. حيث [1]إن ما سوف أقدمه هو قراءة في مسلسل " نساء في العاصفة" قدّم وصفاً وتصويراً لشخصيات عاشت قبل الحرب, واخرى برزت في مؤسسات ما بعد الحرب.

اخترت هذا المسلسل, لأنني وجدت فيه آليات التحّول في العلاقات من البنى العائلية التقليدية الى البنى المؤسساتية حيث ينبني الصبيان والبنات ويتحرك النساء والرجال, وحيث نشهد غياب البنى البطريركية التقليدية وحضور البنى المؤسساتية المحدثة.

تقع احداث المسلسل بين سنة 1961 وحدود سنة 1990. اما اعمار البنات والصبيان فهي في حدود العشرين والخمس وعشرين سنة. أي انهم ولدوا جميعا عشية الحرب الاهلية.

ماذا حلّ بآبائهم وامهاتهم؟

كيف خرجوا كشباب وشابات؟

وكيف تتبدى هنا الابوّة والامومة, الذكورة والانوثة في زمن الحداثة والعولمة؟

كان وجه العالم يتغير كذلك وجه القيم ومختلف الأوجه العلائقية وذلك في غفلة منا. حيث كنا, وما زلنا, في حالة دفاع عن الحياة والوجود.

أقارب هذه المادّة من زاوية البنية structure ,البنية العائلية قبل الحرب والبنية المؤسساتية بعد الحرب.تؤخذ الحرب الأهلية هنا كمسافة للإنقطاع بين زمانين . مسافة هي مطرح الفراغ والفقد ونزع الغطاء الناظم والساتر.من هنا نجد التفجير والعري داخل البنى وداخل الشخصيات.

إن أي مسلسل , وكي يستقطب الجماهير , عليه ان يقدّم دراما وحبكة وقصة مشوّقة. تدور الدراما في هذا المسلسل حول شخصية إمرأة هي نهلة في صراع مع الحياة والوجود. ومن المشهد الآني والواقع Réalité

تعود الكاميرا وفي حركة "feedback " لتصوير الماضي بواسطة فعل التذكرmémorisation وكأننا أمام مسار في التحليل النفسي حيث تتكشف الحقيقة vérité بعد إن كانت أسرارا مخبوءة ومستترة. نهلة الشخصية المحورية في المسلسل أتت من زمن ما قبل الحرب, عاشت زمن الحرب, وهي تعيش زمن ما بعد الحرب . إن الشخصيات التي حولها ومعها وخلفها وأمامها تكشف وجوه ناس هم في الصميم من مقاربتنا لآليات الأداء العلائقي والسلوكي للرجال وللذكور ازاء مختلف القضايا.

هذه الدراما هي عبارة عن استعارة لنرى من خلالها تيمة الذكورة والأنوثة, الأيوة والأمومة, الرجولة وتعبيراتها المحايثة للتحولات البنيوية في المجتمع اللبناني.

سوف نعرض في البدء سيرة هذه الشخصية, التي لم نستطع رصد مسارات صيرورتها, شبه المستقرة, الا في حدود الحلقة ثمانون من المسلسل.وبعد ذلك نعرض صور الرجال والنساء والصبيان والبنات في تصنيف أولّي حسبما

---

* محللة نفسية

1- عرض هذا المسلسل سنة 1998 على مدى أكثر من سنة, الثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع باخراج باسم نصر.كان معدّاً ليكون 30 حلقة فقط.ولكنه طال واستمر حتى 161 حلقة, نظرا لإقبال الجماهير على مشاهدته.أضف إن تلفزيون لبنان حينها كان قد أخذ دفعا قويا من الرئيس الحريري بإدارة فؤاد نعيم.وكان أول مسلسل لبناني طويل يعرض بعد الحرب الأهلية التي دامت من 1975 حتى 1989.

سمحت مادة المشاهدة. ذلك ان إستخراج صور الرجال " في العاصفة" يتّم في دينامية العلاقة إناث- ذكور داخل بنى متموضعة في المكان والزمان اللبنانيين, مع الطموح أن تكون التصنيفات المقدّمة هي بمثابة نواة للتعّرف على أوجه النساء والرجال في المجتمع العربي لاحقا.

الست نـهلة راشد

الست نهلة هي مديرة مؤسسة راشد راشد للتجارة, إمرأة جميلة جدا , قادرة وقوية وقاسية , لا أحد يستطيع أن يقول لها لا, تفرض ال **نعم** على الجميع, تقف أو تلتفت أو تومىء فينتهي الإجتماع أو يخرج من استدعته.

الشعر:carré مع خطوط حادة, غرّة تغطي الجبين والشعر يصل لحدود الرقبة, إنها نفس القصة ونفس التسريحة.

الوجه: الجميل جدا هو من دون تعابير.

المشية: نفس الإيقاع ونفس الخطوات ولا إلتفات.

الملبس: كل يوم ensemble محتشم , انما التنورة القصيرة "فوق الركبة" هي موضة ذلك الوقت مع أناقة عالية جدا.

القوام: القامة المستقيمة لا تظهر من تحت الثوب أية استدارة أنثوية, ولا شيء يشي بوجود جسد أنثوي تحت الأنسامبل.

قليلا ما نراها تتحرك داخل المؤسسة , إنها دائما وراء المكتب, حيث تتلقى الإتصالات بواسطة السكرتيرة نوال التي تلبي طلبات الست بأمانة لا نظير لها. لا يدخل أحد الى مكتبها إلا بإذن, حتى ولو كانوا أولادها, لا تتصل بأحد مباشرة حتى ولو كانوا موظفي شركتها. سيدة تمسك بأمبراطورية مالية بيد من حديد مع جيش من الموظفين. في الدخول والخروج من المؤسسة, نراها خارجة او داخلة في الممر من خلال الحاجز الزجاجي والستائر المعدنية, كأن ظلها يسبقها في الدخول والخروج.

المؤسسة هي الست نهلة والست نهلة هي المؤسسة والسائق سعيد هو بأمر الست.

الست في البيت

تدخل الست الى البيت, حيث الخادمة نجلا والطباخ صالح. نراها على طاولة السفرة تأكل بنفس الطريقة التي تتحرك فيها في المؤسسة, بالكاد تدير وجهها. أولادها جنى وفؤاد, اذا شاركاها الطعام فالكلام محسوب ومدروس, فلا إشارة الى انها من الممكن ان تسمع ما يمكن أن يدور في خلدهم, ولا إلتفاتة الى نجلا التي تسكب الطعام. تصعد درج القصر الى غرفتها, بنفس الإيقاع ونفس الخطوات المنتظمة ولا إلتفات. وقبل ان تصل الى غرفتها , تمر ايضا بممر يشبه الممر في المؤسسة فتترك ظلها قبل أن تدخل الى غرفتها.

حتى الحلقة السادسة عشرة من المسلسل لا نرى الا هذه الشخصية والتي هي السلطة بعينها في كائن لا جنس له اسمه الست نهلة, بل له جنس واحد هو جنس السلطة الفالوسية phallique .

فقط في غرفتها تنزع الست perruque عن رأسها ونرى حينها رأسا آخرا. رأس طبيعي حيث شعر جميل وإمرأة في ثياب نوم محتشمة, ايضا انسامبل أو روب فوق البيجاما, كأن الجسد الذي تحت الأنسامبل لا مكان له ولا حضور, هناك شيء جُوّا مغطى بشيء من برّا .
إمرأة السلطة هذه تستعمل كل إواليات السلطة الذكورية بشكل أعمى, لا تتحمل **اللا**, تريد ال **نعم** من الجميع وأينما كان.

نهلة الحطاب- البنت

بعد الحلقة السادسة عشر, نرى الست نهلة عند والدها المريض في بيت متواضع جدا. قبل ذلك لا أحد يعرف من هي هذه المرأة ولا من أين أتت, كأن الكاميرا في تثبيتها الصورة في الحلقات السابقة على هذا الوجه الذي رأيناه تريد أن ترينا ذلك **الإنقسام** الحاصل داخل تلك الشخصية. هنا في هذا البيت يطلب الأب السماح من إبنته وهي لا تجيب وتبقى في وقفتها كأنها تمثال, يبكي الأب ويقول " أنا لا أستاهل السماح" , والأخ كريم جالس بقرب الحائط في حضور أخرس.

تعود الكاميرا الى الوراء...

نهلة ابنة صبية وجميلة وممشوقة القوام , ذات شعر طويل كثيف وأجعد يتجاوز الكتفين, تلبس ثوبا طويلا فضفاضا مزركشا ومحتشما, انها في مطبخ البيت. يُرعد صوت راشد الحطّاب , والدها آتيا من الحقل, تركض البنت تشلّح والدها صبّاته وتركض الأم سلمى لتسخن الماء, تغسل نهلة قدمي والدها ثمّ تركض جيئة وذهابا خوفا وهلعا من صوته ونظراته وطلباته.
أمها سلمى ملتحفة بالسواد وبقمطة رأس , وواضح كرهها لزوجها راشد الحطاب الذي يعتبر إمرأته مجنونة لأنها لا تلبي طلباته صاغرة, انما مرغمة بالضرب وبواسطة القشاط. ينال نهلة الكثير من هذه الضربات. راشد الأب يصرخ ويضرب , يأمر وينهي , لا يحكي , يدفع إمرأته "المجنونة" الى السرير لأنه شرب كأسا وزهزه.
راشدadult .ولكنه حطّاب من ضيعة " جوار البلاّن" [1]

نهلة الحطاب البنت- الخادمة

يعد الحطاب الشيخ ناصر ابو شهّال وجيه ضيعة جوار البلاّن, بأنه سيأتيه بإبنته نهلة لتعمل خادمة في القصر, لأن الشيخ ناصر " مشبعهم" و" لحم كتافه من خيرهم" . تبكي نهلة وتحتمي بأمها التي ترفض بعنف, تقول الأم " لا لا بس واحد بالعيلة لازم يبكي هوي أنا ". ولكن القدرة المرعبة لقشاط الحطاب تجعل نهلة تسير وراء ابيها مطأطئة الرأس ومكسورة الخاطر في حقول الضيعة. يدخل الأب وابنته الى القصر. أمام الشيخ لا ترفع نهلة نظرها وتبحلق

[1] **كل الأسماء التي يستعملها شكري أنيس فاخوري هي دالّة , تعني المعنى الذي تحمله**

في الأرض حيث اللاشيء. كأنها لا تريد أن تعرف أو ترى أو حتى أن تفكر أين هي: " اللحمات إلك والعظمات النا" قالها الحطاب للشيخ ناصر ومشى عائدا كأن شيئا لم يكن.

قادتها الست زهية , مسؤولة الخادمات, الى الغرفة التي سوف تنام فيها مع الخادمة الأخرى نسيبة, حيث يوجد غرفة بسريرين في الجهة الخلفية للقصر.

الست زهية تلبس دائما بدلة سوداء وقميص ابيض وكرافات وتمشي مرفوعة الرأس , بإيقاع الضابط الذي يقود فرقة عسكرية. إستأنست نسيبة بنهلة وهللت لها مما خفف من روع نهلة.

تتألف عائلة الشيخ الكبير ناصر ابو شهّال , من ابنه البكر الشيخ رمزي الآتي حديثا من لندن ومن الشيخ الأصغر شوقي. نهلة الخادمة الجميلة التي لا ترفع رأسها ولا ترفع عينها, يعاملها الشيخ شوقي بلطف واحترام, اما الشيخ رمزي فنظراته متلاعبة ويتصرف على إنه ابن الشيخ بعنفوان متعال.

الشيخ شوقي الإبن الأصغر, المتعلم والفارس الذي يمارس الرياضة كل يوم تتبدّى في محيّاه كل مقومات الرجولة: أسمر مع شوارب وحواجب كثيفة وشعر طويل كثيف أسود مربوط من الخلف ونظرة هادئة ومشية فيها الكثير من القبضنة التي لا تشي بأي عنف أو تعالٍ , بخلاف أخيه الأكبر الشيخ رمزي الأشقر الذي يستعمل بعض المفردات الإنكليزية ولكنه في قيامه وفي قعوده وفي مداخلاته لا يوحي بالثقة بل بالمكر والتلاعب والتزلّف الى الأب.

الأخوان مختلفان جدا وليسا على وفاق, لأن الشيخ رمزي الإبن الأكبر يدخل والده في مشاريع فاشلة وهذا ما ينتقده عليه الأخ الاصغر الشيخ شوقي, ولكن الشيخ الكبير يصدق إبنه الأكبر كونه البكر ويتدخل دائما لردهما الى الود والوفاق, ولكن دون أن يعرف فعلا طبيعة ومادة الإختلاف بين الأخوين. لا نرى من الشيخ الأب سوى هيبته autoritÉ والمتمثلة بالعباءة وإذا كان عليه أن يمارس سلطة ما pouvoir , فهي الطلب من أبنائه الشباب أن يتوقفا عن الإختلاف.

إهتمام شوقي بالخادمة نهلة يثير حنق رمزي الذي يرى أنه يجب التمتع بالخادمة. وفي ليلة كان فيها شوقي في بيروت يأتي عماد سليمان الصحافي المبتدىء وصديق رمزي وبعد أن يشرب الصديقان يقترح رمزي على صديقه عماد أنه سوف يهديه الليلة فرصة التمتع بالخادمة الجديدة إنما بعد أن يقوم هو بمهمة الدخول فيها أولا, كأن رمزي كان بحاجة لهذا الدعم المعنوي كي يقوم بخطوته مع الخادمة. يتواطأ رمزي مع زهية السحاقية لإرسال الخادمة الثانية نسيبة الى مكان ما , ترتب زهية المسائل بعد ان وعدها رمزي بأنه سوف يتركها لها بعد عماد. رمزي الشيخ الذي يظن أن كل شيء مباح له, يلاقي عنفا وصراخا من نهلة يزداد الصراخ ويهرب عماد, ومثل كل الأفلام يرجع شوقي من بيروت في هذه اللحظة, فيسمع صراخ نهلة , يقتحم الباب ويلمّ الخادمة من بين يديه اخيه الوحش .

يزداد الحب في قلب شوقي , لدرجة أنه ذهب معها الى بيت أهلها وأكل هناك على الطبلية اللبنة والزيتون, وذَهل الأب راشد من المشهد واستبقى ابنته بعض الوقت ليعلمها بالقشاط من أنه ليس لديها الحق بأن تجلس على نفس الطبلية مع الشيخ وردّها الى القصر مذعورة كمن اقترف إثما مريعا. نهلة تحس بهذا الحب وتكاد لا تصدقه, إنما هي مشغولة به, ولا يتوانى شوقي عن إرسال الإشارات بشأن حبه لنهلة أمام الجميع. هذا الحب أقر مضجع الشيخ رمزي والست زهية فاتخذ رمزي قراره من جديد . عندما كان شوقي في حفلة التخرج من الجامعة في بيروت. اشترت له الست زهية

حبوب المنوّم التي أعطتها لكل من نسيبة ونهلة. وفعل رمزي فعلته, ومارس فحولته على البنت المنوّمة, وتركها لزهية التي يبدو أنها تمتعت بها هي أيضا, ذلك أن زهية وقعت بحب مجنون بنهلة منذ اللحظة التي رأتها فيها. شخص واحد شعر بنهلة , ولكن من مكان بعيد, أنها أمها سلمى, التي صورتها الكاميرا وهي تستيقظ مذعورة في بيت الحطاب صارخة " بنتي...بنتي" .

تستيقظ نهلة على الكارثة وتذهب الى أهلها وهناك يجرها الأب من جديد الى القصر , مستفسرا عن سبب تخليهم عنها. يسرّ له الشيخ رمزي أن إبنته نهلة أغوته وهو يعاشرها لذلك إرتأى إرسالها الى بيت أهلها حفظاً لأخلاقية وسمعة أهل القصر . يرجع الحطاب مطأطىء الرأس مقوّس القامة ونراه يضرب فأسه على كعب الشجرة بكل ما لديه من قوّة وقد هدّه التعب والذل والعرق.

بعد أن يعود شوقي ويسأل عن نهلة يتناوب كلاّ من رمزي وزهية على وصفها بأرذل الصفات, إنها غاوية وخانته. يقع شوقي في الشك ولكنه أمام رواية خيانتها يصمت ولا يسأل عنها.

كل هذا والشيخ الكبير ناصر ابو شهّال لا يعرف ماذا يجري في منزله.

نهلة الحطّاب – زوجة عساف المعلّم

في البيت قررت نهلة الموت , قطعت شرايين يدها, ولكن نسيبة أتت لتردعها عن ذلك. تحمل الأم سلمى ابنتها نهلة الى مستشفى بحنّس للعلاج. تترك سلمى, أم نهلة, المستشفى وتذهب الى بيت آل أبو شهّال لتواجه الشيخ الكبير بما حصل, تحكي له, ولكن الشيخ رمزي والست زهية , كانا جاهزان لطرد تلك " المجنونة" من القصر . فعلت ذلك من دون أن تقول شيئا لنهلة.

منذ لحظة يقظتها من الكابوس, صار في عيني نهلة شيء من القرار والتصميم.

أثناء خدمتها في القصر.كان عساف المعلم, الرجل البسيط, ذو العقل الخفيف يتردد على آل حطّاب , يشرب كأسا مع الأب ويطلب القرب منه.وكان ذلك أبعد من السماء على الأرض لدى الأم سلمى. ولكن بعد مهانة الشرف, وحادثة الإنتحار وإدخال نهلة الى المستشفى, ترك راشد الحطاب عساف يدفع تكاليف المستشفى رغم غضب الأم واعتراضها على عدم تحمّل مسؤولية هذا الأمر من قبل الأب, وإلحاحها عليه أن يتصرف ولو مرّة واحدة بكرامة.

يأتي عساف الى المستشفى لزيارة العروس حاملا وردة, وكانت فرحة نهلة لا تصدّق. إنها المرة الوحيدة التي يحمل لها أحد ما وردة. اتخذت قرار الزواج من عساف , لأنها ظنّت أن جور عساف لا يمكن أن يكون إلاّ أرحم من أبيها ومن الشيخ الكبير ومن الإبن رمزي وتخاذل الحبيب شوقي عن حمايتها. ألم يحمل لهاعساف وردة ؟

وليلة الزواج, قررت نهلة أن تقول حقيقة ما جرى لها مع رمزي أبو شهال, فردّ العريس قائلا:" كنت عم قول ليش نهلة انتحرت". وتكتشف نهلة من هو عساف الذي قبل بها, سكرجي, قمرجي, غارق في عالمه, يأتي الى البيت يأكل ويضاجع كالحيوان, حملت منه, وفي ليلة يتسلل ويحرق سيارة الشيخ ناصر ابو شهال , ويحمل نهلة الحامل ويذهب بها الى بيروت هرباً . وعساف يكره أمها كرهاً لا مثيل له, ويكره كل جنس حوّا . في غرفة مزرية في بيروت , تلد نهلة طفلها الأول وحدها , ولكن هناك في الضيعة تستيقظ أمها مذعورة وهي تصرخ:" بنتي ...بنتي".

في بيروت, وفي الغرفة ذاتها وعساف يلعب القمار, يأتي يوم ويغيب عشرة, يصير لدى نهلة طفلان : سناء وجميل.
وفي إحدى الليالي يأتي عساف منفعلاً هاذياً:" قتلته..قتلته".نعرف بعد حلقات كثيرة, إنه قتل الشيخ الكبير, ناصر ابو شهال, وكان ذلك في عز اندلاع الحرب الأهلية, ويدخل عساف السجن.

مصير رجال عائلة ابو شهال

وجيه ضيعة جوار البلاّن

الشيخ رمزي الإبن الأكبر: يبدد ثروة وأملاك العائلة في مشاريع فاشلة, ذهبت بالثروة وبالقصر, يهرب الى لندن.
الشيخ شوقي الإبن الأصغر : الذي ما زالت نهلة في خاطره, وفي قلبه, يقبل بالزواج من شادية ابنة حليم فوّاز حتى ولو كان لا يحبها.
يعيش الوالد, الشيخ الكبير مع عائلة ابنه شوقي في شقة صغيرة تركها لهم حليم فوّاز والد الزوجة بعد ان ضاقت أحوال البلد, وهاجر الى الخليج, حملت شادية , ووضعت الصغير ناصر. في هذه الشقة يتم اغتيال الشيخ الكبير.
بعد مقتل الوالد , يدخل شوقي في الإدمان على الكحول , الصغير ناصر مريض ويجب أخذه لعند الطبيب في بيروت, في السيارة , شوقي مضطرب التركيزبسبب الكحول , ويحصل حادث , تموت الأم , يتكرسح شوقي وينجو الصغير, بقدرة قادر.
في المستشفى وعلى فراش الموت , وبدون أوراق ثبوتية, يهذي شوقي بإسم ناصر ونهلة ونسيبة. تأتي نسيبة وقبل السكوت الأخير , يطلب منها أن تأخذ ناصر لنهلة , لأنها الوحيدة التي تستطيع أن تربيه وتحبه.
نهلة المعثّرة , مع طفلين, تحمل لها نسيبة الثالث : ناصر شوقي ابو شهال, الدنيا حرب ولم تعد نسيبة لتتأكد من حالة شوقي, الذي يبدو أنه استفاق من الكوما ولكن أصيب ب Amnesie . ترك المستشفى وذهب وهو لا يعرف من هو, ولا إسمه ولا تاريخه, يخطفه المسلحون, وتنقذه بدوية, وتذهب به الى الجرد, حيث يعيش 12 سنة في حالة فقدان الذاكرة, يتلقى ضربة على رأسه من بدوي, يستيقظ, ويعود الى بيروت مكرسحا, انما مع شعره الطويل الذي صار أبيضاً , وكذلك الشوارب والحواجب بيضاء, يعيش في غرفة مزرية, لا يعرفه أحد.
الشيخ رمزي , الذي هرب الى لندن, تزوج من ناديا , ابنة صاحب بنك فران في لندن , وعاد الى بيروت بعد عشرين سنة , تحت إسم رمزي ناصر,متخلياّ عن المشيخة وعن اسم العائلة مستبقياّ فقط اسم الأب وصار مدير بنك فران في بيروت ورئيس مجلس ادارته بعد أن أزاح مديره الأصلي مستعملاً أموال إمرأته ناديا .

نهلة المرأة – الأم المتروكة/ ظل العاهرة.

عساف في السجن, ونهلة مع ثلاثة أطفال, والدنيا حرب, والثالث هو ابن الرجل الذي أحبته, أسمته فؤاد, لأن الفؤاد هو ما تبقى من الحب الكبير, تعمل نهلة baby sitter ,لجاراتها الموظفات , بدل العناية بالواحد ليرتان , ولديها خمسة أطفال أي 200 ليرة في الشهر, أمر لا بأس به, ولكنها تخاف من عودة عساف , وماذا سوف يقول لها عن الإبن الثالث.

زارته في السجن, ومن وراء القضبان زأرها قائلاً: " أوعى يكون ممشاك مش منيح..." انه لا يسأل عن ابنته سناء "سناء رح تطلع مثلك , ما فيها خير , أوعى يكون ممشاك ومصرياتك مش ولا بد يا نهلة ....".

غياب عساف في السجن , جعل نهلة قوية, تقول عنها نسيبة " من مرا مغمضة لمرا مبحلقة". وعندما زارها أبوها وأخوها بعد ان عرفوا بقصة إبن شوقي أتيا من الجبل وبتهديد ووعيد قالا لها:" ان شاء الله بدّك تعيشي على حل شعرك...اتركي الصبي وارجعي معنا ع الضيعة ". ترفع نهلة صوتها **باللا**...وتطردهم : " لأنو اذا صرّخت بلم مسلحي الحي عليكم....**انسوا انو عندكم بنت..."** . وقفت في وجه ظل العاهرة التي يلا حقونها بها وقالت لا, بعنف من يدافع عن وجوده.

هرب عساف من السجن , ووجد ثلاثة اولاد, شرحت له الموضوع...أجاب:" أنت وابن عشيقك بتضلوا هون , وأنا باخذ ولادي وبروح... أنا اللي راح يحرق قلبك يا نهلة.." يضربها عساف . تفقد الوعي. يأخذ أولاده ويذهب.

الأم المفجوعة, المتكومة على نفسها. تسمع صراخ الصغير فؤاد, حرارته عالية, تركض به في الشوارع الى ان طرقت باب عيادة الدكتور نصري خلف.ولم يكن ذلك اليوم للمعاينة المجانية...

" انه ليس يوم الثلاثاء ...اذهبي..." تقول لها الممرضة.." وتصر نهلة , يسمعها الطبيب من الداخل, يداوي ابنها وهي ليس لديها بدل معاينة. فتصير تأتـي كل يوم لمسح أرض العيادة, والدكتور لا يريد ذلك, وهي ترفض الاّ أن ترّد الخدمة.يعجب هو بشهامة هذه المرأة رغم فقرها, يلحق بها الى بيتها حاملاً الأكل للصغير.

نهلة الممرضة:

يساعدها الطبيب , محترما انسانيتها, لا يتعامل معها كخادمة, ولا كفرصة للإنقضاض عليها كمرأة , ويبدأ هنا مسار طويل من الأنسنة, جعلها تستعيد علاقتها بالقراءة, كان يحمل لها كتب إحسان عبد القدوس , وطلبت منه أن تتعلّم الإنكليزية, وصارت بعد ذلك ممرضة في مستشفى. لها غرفة هي وابنها فؤاد. في المستشفى سهرت على مريض ثري, تجنّد الجسم العامل في المستشفى لخدمته.إنه راشد راشد , الذي رأى أنها وحدها ردت له الروح.

إنه في الخامسة والستين , بعنايتها البسيطة والإنسانية وغير المتكلفة والتي لا تطلب شيئاً في المقابل. وهو الثري الذي يعرف كيف يلعب النساء اللواتي يدرن في فلكه , طامعات بالمال والجاه. وهي لم تكن تريد شيئاً , سوى العمل, والإعتراف بها وبإبنها, للمحافظة على كرامتها. عندما عاد راشد راشد الى بيته , طلب من الدكتور نصري أن تأتي نهلة للإعتناء به في البيت ببدل 2000 ليرة في الشهر.

في البيت/ القصر, كانت موضع ترحيب من الخادمة المسنة أم سليمان, ومن الطبّاخ صالح, وكانت تتجنّب الإقتراب من سرير البيك, حاول, ولكنها اعتذرت بلطف, من أنها هنا للسهر فقط على صحته.... تعلّق راشد بها وطلب منها الزواج, واعداً إياها إنها ستكون في أمان مع إبنها , وعندما ترددت , استشارت الدكتور نصري , ترك لها الخيار, وأمام إلحاح راشد, وافقت شرط قبول إبنها معها . لحظة الزواج قال لها :" أنا أحبك , قولي لي هل تحبيني...؟" صمتت ثم قالت **:" معك لدي احساس أكبر من الحب , وهو الأمان والطمأنينة**..." وبكت على صدره.

" أنا لا أعرف إحساس المرأة تجاه الرجل, ولا إحساس الرجل تجاه المرأة...." هذا ما قالته بعد زمن لشوقي عندما عاد وأخبرته عن الحقيقة والتاريخ الذي حصل في غيابه.

نهلة راشد

راشد راشد (مرتين adulte) الزوج والأب لها ولإبنها فؤاد وكانت عند حسن ظنّه , تناقشه في العمل وفي الصفقات والملفات, ثم طلبت من صديقه د.توفيق بركات, عميد الجامعة , مساعدتها لدراسة " إدارة الأعمال"

حملت نهلة, ومنظرها , وهي تعود مساءً , يسبقها بطنها, وهي تحمل ملفات وكتب الجامعة, يجعلنا نفكر بالكثيرات من النساء اللواتي يشبهنها في تلك الحالة. خصوصاً أثناء فترة الحرب الأهلية.

أحب راشد فؤاد الصغير كأنه من لحمه ودمه, وكان يفكر بتوريث أمواله للجامعة قبلها, شجعها على الذهاب الى المؤسسة, وادارتها قبل موته. في ذلك الصباح , وضعت نهلة الperruque على رأسها, ولبست البدلة الأنسامبل, ونزلت درج القصر , بخطوات مختلفة ووجه مختلف ونظرة محايدة. في العمل قامت بثورة في الهيكلية المالية للمؤسسة, وجعلت من شركة راشد راشد , وفي حياته امبراطورية مالية, امتدت على مدى الوطن.

أمسكت نهلة **" بسيف"** راشد, واعترف بها **reconnaissance** قائلاً :" أنت إمرأة عظيمة , تجمعين قوّة الحديد ونعومة الحرير". وعندما سئلت :" أين تعلمت كل هذا؟" أجابت:" في مكتب الآلام الطويلة."

هذه الآلام عرفتها نهلة داخل النظام العائلي الأبوي من البنت الى الخادمة الى الممرضة الى مديرة المؤسسة القاسية, والتي تضم الى صدرها حين تنام كل يوم,ألبوم الصورالذي يحتوي على صور ولديها المفقودين, سناء وجميل .

تمثل هذا النظام العائلي le patriarcat بثلة من الرجال كوّنوا لديها صور المرأة والرجل وآلية التحكم بالبشر:

الأب الحطّاب , الفظ في سلطته, هو الذي لا يعرف التعامل سوى مع الفأس وربما يظن أن أفراد عائلته هم قطع خشب يجب ترويضها بواسطة القشاط والصوت والنظرة...لا مطرح للبنت...والأم " مجنونة" , والأخ كريم لا يفعل سوى أن يكرر :" اللي تشوفو بيي." الفقر والذل والمهانة أمام الشيخ الكبير وأبنائه يرميها الحطاب على عائلته. والتواصل الوحيد هو بين الأم والبنت ولكن بشكل خفيّ . حيث لا تعبير عن المشاعر . انماالإحتماء ببعضهما البعض.تترجيان الله. إنه حبل سرّي يشبه القدر. حبل من الدموع المجدولة يصير طريقا وحيدا للحياة. انها صورة النساء في العائلة المحكومة ب pater-familias الجبلي في قرية اسمها " جوار البلاّن".

أما العائلة الثانية, عائلة الوجاهة , فهي لاغتصاب كرامة الرجال الفقراء, والتمتع بنسائهم, اللواتي اذا اعترضن , فصفة الجنون تتبعهن أو صفة العهر.

رجال المشايخ , غبر منتجون, ينعمون بالدلال والحقوق المكتسبة من الغير.

وإذا كان من صورة تمثل كل هذا النظام , بعريه , فهي شخصية عساف المجنون.

من أول يوم زواج , يبدأ عساف بتعذيب نهلة:" جاي تشتري حالك فيي". يقول لها:" اشتهيتك من أول يوم , وتمنيت اللحظة اللي بتكوني فيها تحت اجري". عساف لم يقتنع يوماً بأن نهلة بريئة. كان مسكونا بالحقد , على الأم والمرأة والأولاد.

رمى سناء / البنت على باب الميتم وكان ذلك سنة1976,أما الصبي فصار حصة كرم كرم وامرأته المريضة في البيت الذي كان يعتاش من لعب القمار و حيث كان عساف مداوماً. عساف بعد الحرب صار مجنونا يهذي :" أزرق, زهر,.الأزرق...الزهر" المجنون , هو الذي يتصرف ويحكي دون ضوابط ولا معايير لأن ما يبطنه في لاوعيه أو في بطنه يصير كلاماً وسلوكاً مرئياً وليس عن عبث أن اسمه هو عساف المعلم لأنه يعلمنا من أين يأتي التعسف. يقتل كأن شيئا لم يكن, يرمي أولاده لأنه لا يعرف كيف يكون أباً , مسكون بالحقد على آل ابو شهال , لأن الشيخ الكبير الأب ناصر, وضع يده على أراضي وأرزاق أب عساف خليل المعلم بالإحتيال . فماتت إمرأته وابنته قهراً . ونهلة خادمة قصر ابو شهال, و"خليلة " رمزي وعشيقة شوقي, هي مطرح الحقد والكره المتراكم والإنتقام , بحيث صار عساف الذي اختزن كل هذا وعاش من خلاله, يجسد التعبير المطلق والمباشر لهذا الإلتحام intrication بين غريزة الجنس وغريزة العنف . إنه خارج الواقع, كأن الماضي , بصوره وأشخاصه ماثلون أحياء في جنونه يعرف فقط كلمتين:" نهلة والشيخ".

عساف المجنون كان يقول للعبة الزرقاء : أبّا أبّا...ويرمي اللعبة الزهر على الأرض, لأن الأنثى بنظره هي الشر المطلق, يعلن صراحة كرهه للمرأة, وهذا الكره هو هوام fantasme موجود عند العامة, وخاصة الرجال, وليس أدل على ذلك تمحور الشتائم حول جنس الأم والأخت وذلك للحط من قيمة الرجال .

هذا الإرث الثقيل الذي حملته البنت نهلة, كان لا يمكن أن يتم التعامل معه والوصول الى ما وصلت إليه لولا شخصية الدكتور نصري خلف.

الدكتور نصري خلف :

شخصية حداثية نموذجية , طبيب وباحث محترم , يعتبر القضايا الإنسانية أولوية بالنسبة له. تكمن القيم الأخلاقية بالنسبة له في احترام الغير , الآخر المختلف مهما كان وضعه وإسمه وصفته وجنسه.

إنه فرد individu , ماتت زوجته التي كان يحبها, وهو من دون أولاد, ولا نعرف له أبا أوأما , كأن الفكرة هنا أن قيمة الفرد وأخلاقياته ومقامه وسلوكاته هي غير خاضعة لقانون النسب العائلي أو الإرث.

تتبدى هذه القيم في علاقته بالمرأة . مع نهلة المرأة الأم الفقيرة المتروكة واللاهثة والمحروقة على إبنها, والتي لا لاتقبل الإحسان . مسحت الأرض في مكتبه , لأنه ليس لديها بدل المعاينة. لم يتعامل معها , لا كخادمة ولا كفرصة, كان حاضرا للإستماع والتلقي ليس فقط لشكواها وإنما أيضاً لسماتها الإنسانية كفرد آخر مختلف . بكل ما لديها من الأخلاقيات والوفاء , لم يستغل المرأة فيها , علماً إنه أحبها وانجذب اليها , وقف الى جانبها, كطبيب وكصديق, وكأستاذ وكأب روحي, كرجل حاضر للإمساك بيدها. جعلها تقرأ وتتقن العربية والإنكليزية. **يتدخل فقط حيث يرى أنها هي قادرة, بكفاءتها هي فتح لها الأبواب.** الدروب لا تعرفها المرأة التي أطبق عليها حجاب التستير وعدم الإعتراف بإنسانيتها أساسا. الدروب يعرفها الرجل بحكم موقعه في الساحة العامة, معه تعلمت أن **تحكي** , وأن تدرس وتصير ممرضة وأن تعمل وأن تصير إمرأة راشد راشد, بوجوده الى جانبها **هي فعلت كل ذلك,** كان **le passeur**

لها, وبقي الرفيق والصديق الذي تشكو له كلما اشتدت عليها الضغوطات والأزمات في حياتها الثانية. في عز سلطتها هو الوحيد الذي كان يستطيع أن يقول لها :" فشرتِ نهلة " .

الصداقة بينهما حتى ولو كانت مشبوكة بليبيدو عشقي , إلاّ أنه كان قادراً أن يتصرف ويقدم إمكان الصداقة بين الرجل والمرأة. كفردين مختلفين , يفكران معا ويتحدثان من خارج السرير. **وهذه قيمة محدثه** , كان لا يمكن أن تكون علناً وجهاراً في ظل النظام الأبوي الطاغي .

في غياب الآباء والأخوة حصل كل هذا.

لا نرى لدى د.نصري أية سمات تسلطية , هو حاضر وقادر ومتدخل بلطف وفكاهة, ليس فقط مع نهلة إنما مع الجميع . إنه موضع إحترام وتقدير من الكل ,إنه من خارج موقع الأب أو الزوج أو الأخ أو حتى المرشد, من خارج النسب العائلي والتوريث العائلي والدعم العائلي. لا أب له, وليس أباً لأحد , إنما هو الرفيق والحاضر والمستمع الى من يتوجه إليه. لا يتطفل ليؤكد حضوره.

د. نصري, لم يدخل في علاقة جنسية مع أحد , كأنه المحلل أو المعالج الذي يبقي مسافة محايدة بينه وبين الآخر , متلقياً الآخر حيث يريد الآخر. أو ربما الراهب بثوب حداثي .

د.نصري أسس " بيت الراحة" للمرضى والمسنين, بمساعدة أهل الخير , وكأنه يقول : آن لأولئك الكبار أن يرتاحوا وحقهم علينا أن نضعهم في (بيت الراحة) لا أن نقتلهم. أليست فكرة الحفاظ على الأجداد حاملي التاريخ هي فكرة دينية وحداثية في آن !

هذه السمة في التلقي réceptivité وفي التريث باتخاذ القرارات l'indécidabilité وفي التواصل communicabilité وفي الإنفتاح الممتد .l'ouverture continue هي أهم صفات المؤنث le féminin.الذي هو اليوم محور الفلسفة والتحليل النفسي. والتي هي سمة إنسانية , وليست بالضرورة أنثوية. نجدها لدى فئة قليلة جدا من الإناث والذكور. والتي لم نجدها لدى نهلة الاّ في الحلقات الأخيرة من المسلسل. إنها سمة من خرج من أسطرة الرجولة ومديح الذكورة. ومن أسطرة الأنوثة كغواية وحنان وحب وما شابه ذلك. حيث الذكورة والأنوثة كمعطى جنسي مختلف, أمر ليس للنقاش.إنما المؤنث في كل منهما, هو الذي يجعلهما يلتقيان من خارج التمثلات représentation المنمطة لكل منهما.

هناك شخصية أخرى تدعم نهلا ولكن من مسافة أبعد هي الدكتور توفيق بركات الذي ساعده راشد راشد ليتعلم وصار بعد ذلك عميداً للجامعة . د.توفيق متيم بنهلا ولكن بحب طهراني . لم يقترب لأنه يعرف أن هم نهلا هو أمومتها وليس أنثويتها أو شبقيتها.

أما الوجه الآخر للدعم فإننا نجده في صديقتها القديمة نسيبة . هذه الشخصية التي نراها حاضرة تقريباً في جميع الحلقات ، تماماً مثل الأخت الصامته الفاعلة المتحركة والتي هي **صلة الوصل** بين نهلة وتاريخها و أسرارها ودموعها وعواطفها من جهة وبين نهلة والآخرين . إنها الوجه الأنثوي للسيدة الحديدية . كانت خادمة مثلها في القصروبعد ذلك ربت إبنة أخيها اليتيمة . نسيبة لم تعرف الرجل ولا الجنس .

نهلة /السلطة تعرف أنها ليست وحدها في آلامها لذا فهي متفرغة لإدارة مؤسستها.

إذا كان الدكتور نصري قد ساعد نهلة للعبور وصارت رئيسة مؤسسة كبيرة. أين تقع هذه المؤسسة في مشهد ما بعد الحرب الأهلية؟

مشهد ما بعد الحرب

في مشهد ما بعد الحرب , نجد أننا لسنا أمام عائلات بل أمام مؤسسات وبيوت في بيروت , وأمام صبايا وشباب عمرهم في العشرين تقريبا, أي أنهم ولدوا عشية الحرب الأهلية, يعيشون في بيوت فقيرة أو هم أولاد التبني, كأن الكاتب , يتابع فكرته العائدة الى غياب النظام الأبوي وتصدع البنية العائلية بفعل التغيرات الحاصلة في الغرب في بنية العائلة وبروز مكانة الفرد وكل مايستتبع ذلك من قضايا تطول الذاتية والحق في امتلاك الجسد والمساواة بين الجنسين وبين جميع أفراد المجتمع واعتبارهم سواسية أمام القوانين الحامية لخصوصياتهم في ظل دولة العدالة والمساواة . من جهة ثانية كان لفعل الحرب الأهلية أثراً لم نتوقف حتى الآن على رصده وقياس مفاعيله على العائلة والجماعات والأخلاقيات العلائقية .

إن فكرة التبني والأمومة والأبوة الحاصلة في القسم الأول مع تبني فؤاد إبن شوقي ابو شهال, من قبل نهلة وراشد, وضياع أولاد نهلة في القسم الأول, سوف يضعنا مباشرة أمام فكرة أن الأبوة والأمومة هي موقف وأداء علائقي يتعدى النسب. هذا من جهة. أما من جهة المؤسسات المحدثة, فسوف نرى الى أية درجة هذه المؤسسات هي مشوّهة وفاسدة ومخترقة بالصراعات العائدة الى تقاسم الإرث العائلي .

هذه الحروب العائلية التي تصل الى درجة من العنف والإجرام, يقودها رجال هم النخبة التي تدير المؤسسات .

عنف أين منه فأس راشد الحطّاب.

المؤسسات المحدثة :

1- مؤسسة راشد راشد للتجارة وعلى رأسها الست نهلة.
2- مؤسسة دار الفجر للصحافة وعلى رأسها الصحافي عماد سليمان.
3- مكتب المحاماة وعلى رأسه المحامي وجدي خير.
4- بنك فران وعلى رأسه رمزي ناصر.
5- الجامعة وعميدها د. توفيق بركات.
6- مكتب الراس .R.A.S للإستيراد والتصدير.
7- سجن النساء وتديره آمرة السجن الست زهية.
8- المقهى الشعبي لصاحبه المعلم شفيق.
9- النايت كلوب stand bay لصاحبته يمنى حجار
10- المطعم الفخم .Inner House

في وقفة موجزة أمام كل من هذه المؤسسات نرى:

1- مؤسسة راشد راشد للتجارة:

فؤاد راشد , الشاب الوسيم الثري, الفاشل في الجامعة, والذي يتنقل من بنت الى أخرى , ليس على وفاق مع أمه لأنها لا تعطيه مسؤوليات في المؤسسة, لأنه بنظرها قاصر كونه لم يحصل على شهادة جامعية. وهو يرى أن له الحق في تسلم الشركة كونه الإبن البكر والصبي الوحيد لراشد راشد . فؤاد لا حدود لطلباته, نزوي, من السهل جدا أن ينتقل الى التصرف l'acte حسبما يدور في خلده, يهين أي كان حتى أمه.

فؤاد, مربى الدلال إنه ليس إبن نهلة ولا إبن راشد ,إنه ناصر شوقي ابو شهال. وهذه الحقيقة مستورة عليه , ينهشه القلق والحذر والتلصص والتجسس على أخبار أمه وأسرارها وشخصيتها. بين نهلة وفؤاد توجد علاقة غير سليمة على المستوى النفسي. كي يكبر الولد ، أي ولد ، يجب أن يكون داخل المثلث الأسري المتكون من أب وأم وطفل حيث الكوبل أمرأة –رجل محكوم بالرغبة بينهما وعندما يصيرا أباّ وأماّ يكمن دور الأب في فصل العلاقة الإنصهارية بين الأم والطفل بمعنى قطع حبل السرة بينهما . من هنا يصير الأب الثالث الذي يسمح للطفل بالتحليق خارج ا لحضن الأمومي كي يكبر وهذا ما يسمى الوظيفة الرمزية للأب . إن أي غياب للأب يطال مستوى ما من العلاقة بينهما كرجل وامرأة يبقي الولد في حالة تبعية أو انصهارية أو تماهوية معها . وهنا نصير داخل تعبيرات غير سوية وغير مفهومة لدى الولد . وضعت نهلة يدها على فؤاد لأنها رغبت بشوقي فقط وهو الرجل الذي خذلها فأبعدته عن وظيفته الرمزية وهو لم يفعل شيئاّ لتعبئة هذا الفراغ الحاصل والذي يدفع فؤاد ثمنه قلقاّ وسلوكات نزوية للتخلص منها والإنفصال عنها وذلك كي يكبر ويصير رجلاّ . وهي حكماّ لم ترغب يوماّ بعساف ولا براشد ولا بأي رجل آخر. عندما علم فؤاد أن لديها أولاداّ ضائعين, بعدما رأى صورهم في ألبوم الصور في خزانتها, أثناء وجودها في باريس لإتمام صفقة تجارية كبرى شعر بالخطر الفعلي و بدأ بمعركته العلنية. وسألها :" ماذا لو رجع أولادك . كيف سيكون الحال في الشركة ! ؟ أجابت:" فلنجدهم أولاً, ثم أن المال كثير والشركة كبيرة."أجابها :" أنتِ نهلة المعلم تتنازلين عن الشركة , وتذهبي أنت وأولادك". طردته من المكتب وصارهدفه تدميرها .

.

فؤاد يمارس الجنس مع الخادمة نجلا التي تنتظره مساء كل يوم, بل وهي مسكونة بالحسد envie من الست نهلة. وتركت نفسها تحبل منه. نرى هنا أن الخادمة اليوم ليست مثل الخادمة بالأمس ، إذ أنها تعتبر أن لها الحق في حمل ابن الست وصولاّ إلى الإعتراف بها . ولكن يبدو أن فؤاد ما زال يعتبر الخادمة موضوعاّ للتمتع ، تماماّ مثلما كان الحال مع مشايخ ورجال النظام الأبوي . لم يتورع فؤاد عن دعوة نجلا الى بيت الدعارة. حيث نجاة تقدم له كل الخدمات, ويستدعي حكمت المسؤول المالي في شركتهم, ليمارس الجنس مع نجلا وتصويرهم قائلا لنجاة :" ونسخ راح تمشي". تنتحر نجلا وتموت, ويطلق والدها عبد الله النار على فؤاد. بعد أن يشفى فؤاد , يخرج إنسانا لطيفا مع الجميع في الظاهر , إنما وفي الخفاء يحوك المؤامرات ضد أمه . ذلك أن أمه اقترحت أن يتزوج فؤاد نجلا وهذا ما

اعتبره جنوناً من قبلها .ابتدأ فؤاد بسحب الأموال سراً عن أمه مديرة المؤسسة وبتغطية من حكمت المسؤول المالي في مؤسسة راشد الذي صار رجله ، لأن حكمت لم يحظى يوماً من قبلها بتقدير الرجل فيه . حكمت يسرق المؤسسة ويستورد بضائع فاسدة وعندما كشف سره بعد أن عينت الست أخيها كريم مديراً للمخازن أضرم النار في المستودعات. وبعد أن كشف أمر حكمت ، رجل فؤاد ، انفجر الصراع ورفع فؤاد دعوى الطعن بوصية راشد راشد لوضع اليد على ثروة أبيه . ووضعت المؤسسة تحت الحراسة القضائية.

فؤاد ذو الأب الضائع يريد كل شيء, بلا حدود في ما يجب وما لا يجب عمله. شاب مصمم على المواجهة بكل الوسائل للإستيلاء على كل شيء.

2- مؤسسة دار الفجر للصحافة:

الصحافي الأربعيني عماد سليمان, وسيم, تعبان على لسانه, يستطيع إقناع وغواية أي كان , يقتل أخاه جهاد ويستلم الدار , ويتزوج إمرأة أخيه, وإبنة أخيه جومانا التي تقيم مع أمها في باريس , يجب أن تستلم الدار عندما تبلغ الواحدة والعشرين . تأتي الصحافية الشابة مايا, التي تشبه إبنة أخيه شبهاً هائلاً , يوظفها من أول لحظة , يغويها,بالكلام والحب والوعود , تزوجها سرّاً كي تلعب دور جومانا وتمضي له على التنازل. ولا يتورع عن مساكنة نور زوجة صديقه القريب جداً وجدي خير, وهو يقدّم نفسه كونه العازب الأبدي.

يتسم هذا الصحافي اللامع , بالقذارة الأخلاقية والكذب والنفاق والرياء والإجرام, إنما بكفوف بيضاء , تستر عنفا وإجراما, أين منه فأس راشد الحطاب.عندما سحبت منه نهلة راشد الإعلانات.شهّر بها على صفحات الأسبوع الفني تشهيراً مخزياً.

3- مكتب المحاماة

وجدي خير, المحامي الشهير , وضع يده على مكتب المحاماة للحجة في القانون, رشيد عطا الله, وتزوج إبنته نور فقط ليبتّزه , لأن هناك قضية عالقة بين الرجلين. نور يتبقع جسدها من الضرب. ساديته تظهر في نظرته وضحكته وفي سلوكاته المريبة. وجدي لا يريد أن ينجب أولاداً. كان محامي مؤسسة راشد للتجارة ، محامي الست ولكنه هو من زرع لدى الإبن هاجس حقوقه والطعن في الوصية . عندما سألته نهلا لماذا يكرهها أجاب:"لأنني أتمتع برؤية امرأة تتدمر "

هذه المؤسسات الثلاث المحدثة. هي شبه مؤسسات , نمطها العلائقي هوأل **نعم** من قبل جميع الموظفين . في ظاهرها حداثة البنيان, وفي باطنها عنف يمارسه الرجال , لا يتوقف عند حد. **أنانية و فردنة وشخصنة, وغياب للمثال المعياري المؤسساتي. حيث لا قوانين ضابطة ولا قيم مهنية.**

4- بنك فران

البنك حيث الست نهلة أودعت أموال الشركة, مديره الأول , رجل ضعيف, ولكنه منضبط وقانوني وصارم في الحفاظ على أموال المودعين وأموال البنك, أزاحه رمزي ناصر الذي عاد من لندن , حاملاً أموال إمرأته وصار المدير العام ورئيس مجلس الإدارة.

عرفت نهلة المدير الجديد للبنك , إنه الشيخ ناصر ابو شهال الذي اغتصبها ودمر أنوثتها , وبعد الصدمة , قررت الإنتقام من نفس الزاوية أي أن تدمر رجولته وذكورته واسمه بواسطة موقعها المالي وأنوثتها , وهنا استعملت كل أنوثتها . حيث خرجت معه للسهر, وتلك كانت المرة الوحيدة التي نراها فيها تلبس فستان سهرة . تريد أن تجعله شريكاً لها. بأموال البنك وأموال إمرأته , ومشهد رمزي أمام الست نهلة وهي تسمعه كلمات الحب, وكيف صار كالورقة بين يديها, مشهد لا ينسى, كل ذلك دون أن تدعه يلمس يدها . كانت لا تتوقف عت إثارته بقولها له دائماً :" أريدك رجلاً."

5- الجامعة

تعيش الجامعة على الهبات, حيث نرى أن شخص العميد فقط, د. توفيق بركات هو الضامن للجامعة ولطلابها. ولكن الملفت أن الكاميرا لاتتوقف كثيراً أمام الجامعة كمطرح علمي أو كصرح فاعل . فقط بعض المشاهد للبنات والشباب وحيث نعرف أن الطالبة كارلا رمزي ناصر موقوفة بسبب تعاطي المخدرات والطالبة ندى فرحات تعمل مومساً لدفع نفقات أخيها المريض والطالبة زينة ثابت تقع في مأزق توقف والدها عن دفع القسط الجامعي والطالب رامي بدران يعمل بعد الظهر " صبي قهوة" باسم عباس والست نهلا تأتي لتشتري الأولية لإبنها فؤاد المعدوم علمياً. وتركز الكاميرا على أخلاقية العميد ونزاهته وجهوزيته لمساعدة طلابه وتفهمهم ورفض طلب الست لشراء الأولية لإبنها. كأن شكري أنيس فاخوري مشغول بالأخلاقيات المجتمعية أكثر من الإهتمام بدور العلم في إحداث تغيير في المجتمع.

6- مكتب الراس للإستيراد والتصدير R.A.S

إنه رامز أنيس سلّوم , أحد "بابازات" الحرب الأهلية , يقدم الخدمات, من خطف وتجسس وضرب ومراقبة وتهديد وتزوير , وهو المشرف على بيت الدعارة الذي تديره نجاة , يقول لأخته حياة عن الحرب :" شو بها الحرب, ساعتين قوصني لقوصك, من دون ما نصيب بعض , وبعدين كله مصاري."

7 – سجن النساء

الست زهية , مديرة الخدم في قصر آل ابو شهال, هي بذاتها آمرة سجن النساء, يسمونها المرأة الحديدية في الوزارة. تتعاطى مع المخافر على مبدأ :" حكي لي تحكلّك ". إنها بذاتها السحاقية, العاشقة لنهلة.

في السجن تمارس زهية كل ساديتها, فعندما تقع كارلا, إبنة رمزي ناصر بين يديها بتهمة تعاطي المخدرات, تمارس زهية حقدها التاريخي على الرجال. تقول لكارلا:" هل أخبرك والدك , الشيخ رمزي ناصر ابو شهال أنه أفلس والده, وهل أخبرك أن لديه أخ إسمه شوقي؟".

عندما أتى رمزي لأخذ إبنته , تهينه زهية كرجل قائلة له :" لولا حبة المنوّم , ما كنت قدرت عملت شي, لأنه الخادمة نهلة هي وواعية زبلتك."

عندما سئلت زهية " لماذا لم تتزوجي حتى الآن" أجابت " عندما أجد رجلاً أتزوج "

زهية المجنونة بحب نهلة , تقول لها علانية :" إسمعي نهلة, أنا إنسانة ووحدي اللي بحبك وبدي إياكِ". وعندما رفضتها نهلة , تلبست بحقد أعمى.

من هذه الصور المدينية , نرى كيف أن الماضي لا يموت وكيف يخترق ما يسمى مؤسسات جاعلا منها هياكل من ورق, يستطاع حرقها بقشة كبريت. هذه المدينة , بيروت, حيث في المطعم الفخم يجتمع الذوات للتآمر , وحيث في مقهى المعلّم شفيق تباع المخدرات, وحيث في النايت كلوب لصاحبته الأرتيست يمنى الحجار نجد أننا أمام ظاهرة ملفتة ذلك أن الأرتيست عشيقة راشد السابقة تتعاطى مع حقها في أن تكون هي الأولى، وبكل قوة, قائلة لنهلا: "أنا التي سوف تحصل على الثروة لأنني أنا الحب والعشق لراشد" والتي تقول أن إبنتها المغنية ,Gylda la Roche ذات الأنوثة الصارخة والثوب المكشوف, يجب أن تتقرب من فؤاد راشد لتقاسمه إرث راشد راشد وحيث الراس حاضر ناطر لتدبير المسائل . لأن غيلدا هي الإبنة غير الشرعية لراشد راشد. كأن الmaitresse تتكفل بالجنس أكثر من أية امرأة أخرى. !

هذه هي المؤسسات التي يقدمها شكري أنيس فاخوري, بهدف تبيان أننا لم ننتقل من بنى أبوية الى بنى محدثة, بل الى بنى مشوّهة ,طوطمها الدولار, وحروبها مشغولة بالإرث العائلي الذي لم ينطوي , وأبوية رجالها عقيمة, رجال محكومين بكره وحقد, يترجم عنفاً مقنعاً يتستر تحت المدنية, فإذا كان راشد الحطاب يمرض ندما على الألم الذي سببه لإبنته, فإن عماد سليمان , يخطف إبنة أخيه بواسطة الراس, ولو نجحت خطته في استبدال مايا بجومانا, لكان مصير إبنة أخيه القتل. ولكنه قادر على توليد جريمة من أخرى, كل ذلك وهو صاحب الدار الصحافية والمدير الذي لا يرف له جفن دون أن يتوقف عن قول كلمة : " أنا....."

وفؤاد راشد لا ينام , لأنه يدبر أمر قلب الوصية وإزاحة نهلة عن الإرث بتدبير شهادة أنها مجنونة كأمها. بعد أن فقدت أطفالها بسببه, ودارت حولها الشكوك , وحول مسلكها, وبعد دلال لا مثيل له عمره 23 سنة.

البيوت

1- بيت الدعارة
2- بيت ماما حياة
3- البيوت الفقيرة.

إن إختيار البيوت أو حتى المؤسسات كان معياره وتيرة تصويرها, ومرورها على الشاشة كمطرح فاعل في الكشف عن ديناميات العلاقات. فهذه البيوت هي ليست عائلات بالمعنى المتداول للكلمة. فعندما تمر الكاميرا على بيت العازب عماد سليمان, فلكي تظهر وجها من شخصيته, الخيانة مثلا, وإذا مرّت الكاميرا على بيت رمزي ناصر, فلكي تظهر

رياءه على إمرأته, أو كشفها هي له, من هنا فإن الصورة المنتقاة هي فقط وسيلة لإظهار أحد أبعاد الشخصية. أما البيوت التي تم التركيز عليها فتلك التي تكشف الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها.

1- بيت الدعارة

هو بيت عبده جابر, وابنته المحامية المتدرّجة هدى. بعد ترمّله, ارتأت هدى تعريف والدها عبده على الممرضة نجاة, ومساعدتهما على الزواج, لأنها رأت فيها جانباً طيباً وإنسانياً, إلا أن نجاة ربما إكتشفت عجز الزوج عبده, فاتخذت لها عشيقاً هو سليم الشاب. ويبدو أن سليم وعدها بالزواج , ودعمها في أن يخلّصها من الزوج المريض في المستشفى . يموت الزوج ولكن سليم الذي يشتغل مع الراس , حول هذا البيت الى بيت دعارة تديره نجاة. ويكون ANNEX لمؤسسة الراس. وذلك لتقديم جميع أنواع الخدمات وعلى كافة المستويات , من هنا اشمأزت هدى وتركت البيت لتعيش مع ماما حياة. ونجاة بالذات هي لسليم, ولكن عندما دخل فؤاد راشد هذا البيت, ربما بتسهيل من سليم, أحبّته نجاة, وصارت خاتماً في أصبعه. وقررت ترك المهنة, الا أن الراس جاء وهددها بأنه سوف يؤذي فؤاد وعندما جابهتها نهلة بما تفعله أجابتها بوضوح :" أنا إنسانة ولي الحق في التعبير عن مشاعري أنا أحب فؤاد."

نرى هنا أن الكاتب , لا يرينا فقط جرائم الرجال, إنما يرينا علو أصوات من كان يخجل الجميع بتسميتهم وخصوصاً النساء .

زهية السحاقية تقول: أنا إنسانة وبحب .

نجاة المومس تقول : أنا إنسانة ولي الحق في الكلام والتعبير عن نفسي .

كأن الحرب التي عرّت الجميع, رفعت الغطاء وسمحت للكلام والقول والجهر أن يخرج لدى الفئات التي لم تكن تجرؤ على الإعلان عن نفسها.

2- بيت ماما حياة

هذا الإسم هو أول ما يلفت النظر

ماما : انها ماما – أم

حياة: عن أي حياة يريد الكاتب إفهامنا, لأنه حتى الآن ليس لدينا أمهات سوى صورة سلمى ضاهر زوجة الحطّأب , التي لم يرد إسمها ولا مرّة, أم كريم مثلاً. سماتها القاسية ونظراتها الحادة ودموعها , والتي لا نعرف من أمومتها إلا الصراخ الذي يخرج من أحشائها عندما تحس بإبنتها. صراخ يشبه الولادة, إنها " المجنونة" بنظر الآخرين , والتي سوف نرى لاحقا أنها الوحيدة البصيرة التي سوف تنقذ إبنتها من براثن فؤاد. أما أمومة نهلة لفؤاد والتي تدافع عنها نهلا دفاعاً مستميتاً فلأنها تساوي خمس وعشرون سنة من الحب والرعاية وذلك في عز هجومه القانوني عليها .

من هي ماما حياة؟

كانت ممرضة أثناء الحرب الأهلية , تعيش اليوم, من تأجير غرف بيتها , للصبايا الجامعيات, مات إبنها في الحرب, بعد أن صوّر له خاله الراس. أنه في الحرب, " المصاري أكثر من أن تتصور ", هي تكره الراس , رامز. وتخجل بأخوته . تزوجت إبنتها وسكنت في الجبل.

تعيش عند ماما حياة ثلاثة صبايا في العشرين من العمر. يشكلن الجيل الثاني من الإناث, ويقدمن صورة مغايرة للبنت, التي لم تعد الخادمة أو الممرضة.

1- **زينة تابت**

1طالبة اللغة العربية في الجامعة, هي اللقيطة التي تبناها من الميتم عصام ثابت وزوجته روز التي لا تنجب وربياها. تطلّق الوالدان عصام وروز وتزوجا من جديد . عصام تزوج من ورده , وروز تزوجت من المعلم شفيق صاحب القهوة. وافقت روز إبنتها زينة وربما دفعتها الى ترك البيت, خوفاً عليها من نظرات زوجها المعلم شفيق.

من هنا نجد أن زينة مقيمة في بيت ماما حياة. تمرّ زينة بمأزق ذلك أنه في سنتها الجامعية الأخيرة, هي مهددة بالطرد من الجامعة, لأن والدها عصام, منعته زوجته الجديدة ورده من دفع قسط إبنته . عصام " **خسع**" حسب تعبير مطلّقته روز. هذين الزوجين, الأول والثاني هما من دون أولاد.

زينة , هي الوحيدة, من بين كل البنات , التي تقول لفؤاد راشد **لا** وحاول أن يدفع عنها القسط لأنها فقيرة, فردّته له. لأن كرامتها لا تسمح بذلك.عندما تعمل زينة في مؤسسة راشد للتجارة . نراها تحدث حركة متقدمة في التسويق. مع الزبائن وتدخل مبيعات الشركة في فائض ملفت.

عندما تعرف أنها لقيطة , وبعد صدمة الخبر, واندهاشها نراها تتعاطى مع الموضوع ببساطة بل بظرافة وفكاهة. مع كل الحزن الذي تخبئّه في صدرها, ترفض عروض الزواج, تعطي رأيها في كل شيء, باحثة عن تدعيم شخصيتها ببساطة.

في النهاية , هي سناء إبنة نهلة وعساف.

نريد التوقف هنا أمام نقطة ملفتة وهي أن زينة التي أتت من بيت هو على تلك الدرجة من التفكك هي بحالة نفسية جيدة ،ما الذي يريد الكاتب هنا قوله !

2- مايا رزق :

إبنة أخ نسيبة وهي من دون أم وأب, ربتها عمّتها بدموع عينيها, ومن الخدمة في البيوت . وعندما ذهبت نسيبة للعيش في الجبل, سكنت مايا عند ماما حياة. صحافية شابة, تذهب للتوظيف في مؤسسة الفجر للصحافة. وعندما يراها عماد سليمان. يوظفها من اللحظة الأولى وتكتشف بعد ذلك خطته. إنها تشبه إبنة أخيه جومانا. شبهاً هائلاً . كأنهما واحدة, يوقعها في غرامه, فتصبح عبدة هذا الحب, بنت عاشت من دون رجال, فصار هو الأب والأخ والحبيب والزوج وكل شيء, وتتعرض معه لكل الأخطار. وتصاب بالخيبة تلو الأخرى.

3- **هدى جابر:**

هي المحامية المتدرّجة في مكتب وجدي خير , كانت تراه مثالاً للإقتداء, وهي التي تركت بيت الوالد الذي أحبته كثيراً. ولكن نجاة وسليم لطخا ذلك البيت, فتركته وجاءت للعيش عند ماما حياة. تصاب بالخيبة , في المكتب, بعد سماع آهات المحامي وسكريترته رلى في الغرفة المجاورة, وبعد معرفتها سكوته عن خيانة إمرأته نور مع صديقه القريب جداً, عماد سليمان. وبعد إكتشافها أن القانون مكرّس لمصلحة الزبون مهما كانت قضيته. " المهم صاحب القضية, ليس القضية", هذا ما قاله معلمها .le maitre وجدي.

بين البنات الثلاث , المتعلمات, المحدثات, اللواتي من دون مثال أنثوي, تنم صداقة محمولة من ماما حياة, يتكاشفن ويتقاتلن, ولكنهن يدعمن بعضهن البعض. المطبات مكشوفة, يضعنها على الطاولة, ويختلفن في مقاربتها , وكل واحدة تذهب في تجربتها, مهما كانت بشكل عادي, ولحظة الخيبة والقنوط, تعرف كل واحدة منهن أن لها مطرحاً تعود إليه , يتلقاها ليس بالبكاء ولا النحيب ولا التوبيخ, يجدن صدراً يتلقى عند ماما حياة, وصديقات جاهزات للتدخل والتصرف. مهما كان خطأ الواحدة منهن, لذلك كانت المآزق مع الخارج, في الحب أو في العمل, مطرحا للعيش والمجابهة والتعاطي وليس للهرب.

بنات من دون آباء ومن دون أمهات, ولكن لديهن علمهن , وكلامهن وشخصيتهن وصداقتهن وبيت ماما حياة. غرفة لكل واحدة منهن , تفرح فيها وتبكي فيها, تتجمعن على طاولة الأكل . يتشاركن اللقمة والدمعة والمال مع الحفاظ على خصوصية كل واحدة منهن . كأن شكري أنيس فاخوري يريد هنا أن يقول لنا : إن التواصل الإنساني والتعبير الكلامي والحب المتبادل وعدم التأثيم والتلقي وقبول الآخر هي شروط بناء شخصية الأنثى الناشئة. وما فعل التبني وغياب الأبوة والأمومة سوى حذلقة نصيّة وتصويرية لقول شيء آخر. إن خروج إناث الجيل الثاني, من غطاء الأبوية التي أبقتهن خادمات وممرضات أو عاهرات, في خدمة الرجولة المتسلطة وعنايتها, هو شرط نهوض الصبايا, بمعنى عدم الخوف من تراجع الأبوية كنظام , أو هزيمتها أو حتى موتها . فالأب شيء والأبوة كنظام شيء آخر. مات والد هدى وكبرت هدى, مات والد زينة وكبرت زينة, أما مايا التي لم تعرف أباً , فكانت الأكثر تعرضاً . ولكنها أيضا كبرت وخرجت من كارثة عماد سليمان بواسطة الحب الذي جمعها مع سامي كرم .

هل أن آليات التواصل, والإنفتاح والإستماع والتلقي والذهاب بالقرارات الى نهايتها, كسمات للمؤنث le féminin هي التي نمت في شخصياتهن وتلقتها **ماما حياة!**

لا أستطيع الجزم بذلك وأترك الجواب لدراسات لاحقة.

3- البيوت الفقيرة

<u>بيت ندى:</u>

ندى طالبة جامعية , والدها متوفي, وأمها خيّاطة للفقراء, تعمل مومس لتأمين دواء أخيها الباهظ الثمن والمصاب بمرض خطير. يكتشف أمرها في الجامعة. يتدخل د.توفيق عميد الجامعة, يذهب معها الى بيتها, ويرى عن قرب ما دفعها الى ذلك المسار, وكذلك يتدخل الزملاء والأصدقاء لإستعادة كرامتها أمام نفسها وأمام الآخرين.

<u>بيت رامي بدران:</u>

رامي طالب جامعي, يعمل صبي قهوة, تحت إسم عباس , عند المعلم شفيق, الذي هو على القديم يضربه المعلّم شفيق على رقبته استحساناً ,ويقول له :" عفاك وله...يا مقصوف العمر...".

" أنا معتّر وصبي قهوة, وبطلّع مصاري أكثر من مهندس متخرّج حديثاً". هذا ما يقوله رامي لصديقه فؤاد.

يعيش رامي في بيت مزري, ويجب أن يعمل أضعافاً ليؤمن الويسكي لأمه الكحولية, سلوى التي كانت فنّانة تغني في الباريزيانا في ساحة البرج. كانت لهلوبة المسارح , المطربة سلوى صاحبة الحنجرة الذهبية. أحبّت رعد الذي اشترط عليها ليتزوجها إعتزال الفن ومن وقتها " ذوّق أمي زوم الزيتون من كواعها. مات وصارت تشرب وهددتني إنو بتنتحر إذا ابتعدت عنها". يقول رامي . في 17 أيلول سنة 1975 احترق الأوتيل الذي كانوا يسكنونه في ساحة البرج. هربوا . رعد **جبان** , كان يخاف من الحرب, ذهب ولم يعد , وعلموا بعد ذلك أنه مات مقتولاً.

تعيش معهم في البيت منذ 23 سنة , أي منذ ذلك الوقت "ستي نعمت " الختيارة المحروقة " وجه السعد " بتعبير سلوى. لأنها هي التي دفشتهم لحظة الإنفجارأمام الإوتيل في ساحة البرج, نعرف بعد هذا الزمن أنها سلوى الحطّاب أم نهلة. أيضاً هنا نرى عائلة فقيرة معدمة تتبنى سيدة ختيارة ومجنونة .

رامي ضعيف البنية, قليل الكلام, خجول, وبائس , تحابا هو وزميلته سميّة في الجامعة وخطبا.

بيت كمال le mecanicien.

كمال من دون أب , يعيل أمه وأخته , يسكن في منطقة فقيرة وفي بيت متواضع جداً ، شاطر في تصليح السيارات , غير متعلم, متسق مع نفسه, ولكنه فقير وعلى قد حاله, وشبه مكسور الخاطر, أحبته جنى راشد. والحب هو الباب الرئيسي لكل المآزق !

بيت سامي كرم:

بيت متواضع لشاب يعيش وحيداً, لم يستطع يوماً أن يعبّر عن نفسه, إنه محبط , يقدم استقالته بثبات وتصميم من دار الفجر للصحافة, حيث يعمل , لأن الأسبوع الفني شهّرت بسيدة محترمة هي نهلة راشد من دون وجه حق. وعندما عمل في مؤسسة راشد للتجارة وكان مثالاً للأداء الجيد مما أثار حفيظة فؤاد فأهانه وضربه مما اضطره إلى تقديم استقالته .أحب مايا حبّاً كبيراً. بعد ان اكتشفت مايا جريمة عماد سليمان معها ومع جومانا هربت لليلة واحدة الى بيت سامي. بعد ذلك تكتشف أنها حامل و كان الأمر بغاية الصعوبة في أن تعرف من هو الوالد.فالزواج السري من عماد سليمان لم تنته مفاعيله بعد . لم تقل لسامي أنها حامل . وتركته يسافر إلى باريس دون أن تعده بشيئ .

مات والده , كرم كرم, وقبل النفس الأخير أسرّ له أنه تبنّاه, وأن والده , هو واحد من خمسة رجال خرجوا من السجن, وصورهم في قصاصة جريدة عتيقة, وبعد طول بحث, يكتشف إنه إبن عساف المعلم المجنون , الذي يسكن بجوار بيت كمال.

سامي , خلوق,آدمي ولكن محبط.

ويبقى هناأ يضاً السؤال معلقاً : كيف أن هذا الشاب الذي تبناه رجل يعيش من طاولة القمار في بيته يكون على هذه الدرجة من الأخلاقية ! وشعار سامي المحبة والتسامح .

هؤلاء الشبّان الثلاثة, يصنعون حياتهم بعرق جبينهم, لديهم الكفاءة والأخلاق والمثابرة, إلاّ أن الفقر والوحدة وغياب الأب جعلهم بلا جوانح . إنهم أقل بأساً من الصبايا الثلاث , زينة ومايا وهدى. كأن الصبي بلا دعم وبلا أب أو بلا عائلة معروفة , يحمل إسمها وتحميه. لا يجد مطرحاً بسهولة في مجتمع على هذه الدرجة من القسوة.

ولكن كلّ واحد منهم , وجد صبية تقف الى جانبه وتحبه مهما كان , بينما البنات فيبدو أن طلباتهن تقع في مطرح آخر, هي العمل على أخذ الإعتراف بهن , عبر مجابهتهن للحياة بالتجارب , ويأخذن القوّة من التلاقي والتواصل والتشارك والمكاشفة فيما بينهن .

خاتمة / بمثابة نقطة إنطلاق بحثية

إذا حصرنا صور الأبوة والرجولة هنا نجد :

1-ا **لأبوة البطريركية** pater – familias حيث السلطة مرتبطة بالنسب ولدينا هنا نموذجين :

- الشيخ ناصر ابو شهال الوجيه وأبنائه
- راشد الحطاب الذي صار أبا فقط من خارج كل هالة وسلطة النظام . إنه أب يرى ويشارك ويرعى.

2- صور الأب :

- **الأب الراشد:** هو راشد راشد الذي إعترف بنهلة / الأم وإعترف بإبنها
- **الأب العاجز:** نموذجه رشيد عطا الله القانوني بكل ثقله ولكنه لم يستطع حماية إبنته نور من حقد زوجها وجدي خير على النساء.
- **الأب المتخلّي والأناني :** ونموذجه شوقي ابو شهال الذي أودع إبنه لدى (نهلة الخادمة) لتعتني به , وعندما أتاه جميل / سامي كرم ليساعده للتعرف على أبيه عساف , عبر صورة في جريدة , أجابه شوقي إنه لا يعرف هذا الرجل . عرف شوقي أن سامي هو إبن نهلة , لم يقل لها هذه الحقيقة ونكر معرفته وهي التي قضت العمر تبكي بحثاً عن أولادها الذين ضاعوا بسبب إبنه . فقط كي يبقى إبنه ناصر "أميرا" متربعا وحده على العرش .
- **الأب النرجسي :** نموذجه , رمزي ناصر الذي لم يكن يوماً لا زوجا صالحا ولاأباً صالحا لأنه مشغول طوال الوقت بذكورته وقدرته على الغواية كأنه لم يصل بعد الى سن الرشد.
- **الأب المتبني :** - كرم كرم الذي تبنى جميل جاعلا منه شاباً سامياً كريم الأخلاق ولكن أجنحته مكسورة
- عصام ثابت الذي تبنى سناء وجعل منها زينة الثابتة في مواقفها وعنفوانها

إذا كنا نرى في هذا المسلسل إعادة للإعتبار لقيم الأبوة والأمومة كونها قيم تتعدى النسب والدم ونجد فيها بصمات الحداثة إلاّ أن الأجوبة تقع أيضاً في مكان آخر وتستلهم قيماً آتية من مطرح آخر .

هناك عدد من النقاط الخفية التي لم يتم التعبير عنها علانية والتي نستطيع رصدها على الشكل التالي :

- الأمومة الروحانية
- اسم الأب Le nom du père
- تأثيم الجنس
- فعل التبني

هذه المسائل تعود إلى القيم المسيحية لأنه في الإسلام لا وجود للتبني ولا يوجد أمومة روحانية ولا يقال " باسم الآب" ولا تأثيم للجنس . من هنا نرى أن المقاربة عند شكري أنيس فاخوري هي مركبة حيث تم العمل على قيم محدثة على قاعدة قيم مسيحية . هنا بالذات نفهم التركيز على القيم الأخلاقية التي تخترق " العائلة المقدسة" . وحيث يكمن الخلاص في الحب والمحبة وهي آليات كانت فاعلة لدى الجميع آباءّ كانوا أو أمهات صبياناّ أو بنات .القيم المسيحية هنا هي المتغير الثقافي المحلي الذي تقاطع مع القيم المحدثة فالوافد على أية ثقافة يتم صرفه بلغة ما هو قائم ومترسخ. من هنا ضرورة مقارنة هذه النتائج من جهة بمسلسلات لبنانية أخرى (فاميليا مثلاّ الذي كتبته منى طايع للمؤسسة اللبنانية للإرسال) ومن جهة ثانية مع مسلسلات رمضانية لنستطيع رصد آليات التحول لدى الرجال والنساء والآباء والأمهات والبنات والصبيان في تجليات الثقافة العربية المجتمع العربي .

وإذا عدنا إلى صور الآباء هنا نجد :

أن هذه الصور للأبوة وللآباء هي متعددة وهي بحاجة لدراسات أخرى في مسلسلات أخرى كي تتوضح معالمها أكثر.

أما **الرجال الفاعلين** , وهم ليسوا آباء فإننا نجد **صوراّ متعددة :**

- دكتور نصري خلف الذي هو نموذج حي للحداثي وللطهراني ، يشبهه في ذلك د. توفيق بركات .
- الصحافي عماد سليمان الذي لا حدود لعنفه المستتر وراء حلاوة اللسان , سلاحه كلامه وذكورته للتسلّط وصولاً الى الجريمة.
- وجدي خير المحامي , رجل القانون , السادي الذي يضرب زوجته ويمارس الخيانة مع سكرتيرته والذي استولى على مكتب المحاماة بواسطة الإبتزازومريض في كرهه للمرأة والعمل على تدميرها .
- رامز أنيس سلوّم (الراس وفرخه سليم) : الذي يدير مكتب الخدمات من خطف وقتل وتزوير ودعارة تحت إسم الإستيراد والتصدير.

هؤلاء الآباء والرجال تجسدوا سابقا في عساف المجنون ولاحقا في فؤاد راشد . المجنون le psychotique والعصابي le névrotique يشكلان الوجه الناطق لخلل البنى العائلية والإجتماعية التقليدية منها والمحدثة , وحيث المؤسسات والقوانين لم تشكل بنى ثابتة ومستقرة وفاعلة مما سهّل إختراقها من قبل الماضي الذي ما زال قريباً ومتسللاً عبر آلية " الإنتقال عبر الأجيال" transmission générationnelle .

إذا كان شكري أنيس فاخوري قد جعل من نهلة محور المسلسل فإنه نظر الى الأمور من عينيها هي و**نهل** من خبرتها الحياتية. نهلة هي ذات بنية نفسية نسميها في التحليل النفسي , البنية النفسية الهستيرية structure psychique hystérique, هذه البنية هي ليست العارض الهستيري symptôme hystérique الذي يغمز الأطباء من قناته (مهسترة) وتلوكه العامة كاتهام للمرأة بالتمثيل والإحتيال وحتى الجنون. البنية النفسية الهستيرية ليست خاصّة بالنساء دون الرجال. إنها بنية ساهرة ويقظة , لا تكّن ولا تهدأ , بحثاً عن جوهر المعنى وحقيقته, تسير بشكل حثيث لتلمّس مسارات الهيمنة . إنها بنية إعتراضية ثورية . وحدها تلتقط مفاتيح السلطة مهما كان شكل هذه السلطة , أبوية, طبيّة, علمية, سياسية, ألخ... وتتابع التنقيب والبحث والإعتراض , تتمثل السلطة وتتلبسها , تتماهى بها وصولاً الى دفع صاحب السلطة للإعتراف بها. هذا ما فعلته هستيريات فرويد وفرضن عليه الإستماع لهن ومن هنا ولد التحليل النفسي , لذا فإن التحليل النفسي يدين للهستريا بإختراعه ومع لاكان Lacan حصلت الهستريا على المديح العالي , كذلك مع السوريالية من قبل . إنها بنية نفسية مرنة تستطيع التحوّل والتنقل بين الذكورة والأنوثة بيسر . يكمن وجعها في إنشطارها clivage. بين الذكورة والأنوثة .إنها إثنين منفصلين, يعملان بواسطة آلية النفي déni تقع المشكلة عندما تواجه هذه المرأة المنقسمة كل ما هو عائد الى أنوثتها وبالتحديد أمومتها , وحيث يصير الأولاد العارض le symptôme الذي يقضّ مضجعها .

نهلة = لم يصلها من أمومة أمها شيء لأن سلمى المرأة / الأم المنسية والمجنونة وليس عبثاً أنها ضاعت في الحرب واختفت ثلاث وعشرون سنة وعادت بوجه محروق ومشوّه . أي أنها لم تستطع أن تقدم مثالاً أمومياً لإبنتها . هذه المرأة إدعت الجنون وهي البصيرة والعارفة فقط لتستكشف الخطر المحدق بإبنتها نهلة من فؤاد وذلك في حدود الحلقة تسعون .

نهلة = لم تتعرف على ولديها (المخطوفين) جميل وسناء وكانا أمامها وفي مؤسستها خذلتهم وتركتهم لمصيرهم وبقيت تدافع عن فؤاد المدلل والذي يتآمر ضدها ويهينها الى الحدود الحلقة 110 . نهلة لم ترغب بعساف ولم ترد , على ما يبدو أن تحمل منه وأن يكون لها أولاد يحملون إسمه . بل ربما بالعكس الذي يبدو أنها حلمت أن يكون لديها إبن من الشيخ شوقي , الذي عندما ولد قالوا: جاء الأمير. وفؤاد الأمير الذي يحتقرأمه , إبنة الحطاب وزوجة المجنون عساف المعلّم . يحتقر كل الشباب والصبايا الفقراء, ويريد أن يستأثر بكل شيء ويردّها الى منبتها الوضيع . وحتى لمّح لها كيف تزوجت أباه راشد راشد الذي تخدمه قبل أن تتأكد من وفاة زوجها السابق عساف, أي أنه يردها الى الخادمة والعاهرة. إنه الأمير ناصر إبن الأمير شوقي ابو شهال .

ساعدت نهلة جميع من هم بحاجة الاّ ولديها , جميل وسناء المعلّم . دون أن تدري أيضاً , أودعت عند سناء / زينة ثابت العنفوان والمنخار العالي , وحدها زينة/ سناء , من بين كل البنات قالت **لا** لفؤاد مما جعلها تتحوّل الى هاجس obsession لديه , ولم يستطع أن يكون رجلاً مع أية إمرأة أخرى بسببها .

جميل / سامي كرم , شاب لم يجد له مطرحاً في المؤسسات التي عمل فيها , فاضطر الى الترك والهجرة الى باريس للعمل .

أما ابنتها جنى فلقد أودعت نهلة عندها الفقر إذ أنها أي جنى تعلقت بكمال الشاب الغير متعلّم mecanicien الذي يسكن مع أمه وأخته في بيت وضيع قرب بيت عساف المجنون وفي منطقة من بيروت هي الأفقر .

كل واحد من هؤلاء الأولاد يحمل وجها لها. فهوامات fantasmes الأهل ورغباتهم اللاواعية تصير واقعاً réalité عند الأبناء . لا شيء يضيع إنما ينتقل ويتحّول .

من الحلقات السبعين وما فوق , تصبح نهلة إمرأة واحدة , غير منقسمة وغير متسلطة : فاعلة ومستمعة ومتلقية , خاصة بعد استعادة أمها وتكريم الأب راشد الحطاب لزوجته سلمى أم كريم . صار الثوب يضحك وكذلك العينان والفم وعضلات الوجه , كأن المؤنث le féminin, الذي يتجاوز الأنوثة féminité نحو الأنسنة ونحو قبول المرأة لجنسها دون حاجة للبس ثوب الرجل وعضلاته المشدودة . بدأت نهلا تحس وتروق وتلين , هنا فقط إبتدأت معركة ثانية مع التاريخ إذ عاد عساف وكبرت طلبات فؤاد وصرنا أمام الحقائق التي يجب أن تظهر وهي جاهزة لمجابهتها والتعاطي معها إنما بألم كبير ولكنه ليس من نفس طبيعة الألم السابق.

نهل شكري أنيس فاخوري كل الصور , من معاش نهلة وتاريخها وهواماتها ليدفعنا الى التساؤل حول جملة معطيات تتمحور حول الأمومة والأبوة , الأنوثة والذكورة, وتعبيرات الرجولة , وذلك عبر متغيّر variable الجنس الذي لا نرى منه هنا في هذا الحيّز المجتمعي سوى الأشكال التالية : الإغتصاب , الخيانة , الزنى والدعارة . فيصير الجنس هنا هو analyseur لدينامية العلاقة بين الجنسين[1] .

[1] **هذه الصور ليست نهائية ولا قاطعة إنها المتخيّل imaginaire الذي بثته الشاشة الفضية TV , والذي يبدو أنه وجد هوىً لدى المشاهدين حيث أسقطوا projection عليه رغباتهم وهواماتهم الخفية فاستمر الى ما يفوق السنة.**